الاسم واللقب: خيرة غانم
الوظيفة: أستاذ محاضر
مؤسسة العمل: جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف الجزائر
محور المشاركة: المبادرات وتجارب الأفراد والمؤسسات في الاهتمام باللغة العربية
موضوع المشاركة: تجربة بعض الهيئات والمؤسسات الجزائرية في النهوض باللغة العربية أثناء مرحلة الاستعمار وبعدها.

إن الجزائر وهي بلد عربي مسلم تختلف في تاريخها الحديث عن كل البلاد العربية الأخرى، ذلك أنها تعرضت لأقسى استعمار مباشر جثم على صدرها ما يزيد على قرن وربع قرن من الزمن، الأمر الذي جعل معاناتها أكبر من معاناة أخواتها في الوطن العربي؛ إذ أن الاستعمار في باقي الدول العربية كان إما في شكل انتداب، وإما أن مدته لم تبلغ المدى الذي بلغته في الجزائر، ومن ثمّ فإنه من الطبيعي أن تكون تجربة الجزائر في هذه الفترة العصيبة أقسى، وإصابتها في مقوماتها أخطر من إصابة غيرها ممن تشترك معهم في هذه المقومات.

لقد أراد الاستعمار للجزائر أن تكون فرنسية،أرادها أن تكون أندلسا جديدة، وقد بذل في سبيل تحقيق هدفه هذا كل ما أوتي من قوة وإمكانات، لكنه ومع اعتداده بقوته لم يتجاهل العقبة الكؤود التي ستحول بين الإدارة الفرنسية وبين تنفيذ مشروعها التغريبي، وتتمثل هذه العقبة في ماضي الجزائر العريق وخصائص شعبها الحضارية.

يدل على ذلك أن الحياة الفكرية والثقافية في الجزائر في الفترة التي سبقت الاستعمار الفرنسي كانت مزدهرة غاية الازدهار، وأن أرجاء الجزائر كلها كانت تزخر بالعلم والعلماء ومراكز التعليم المختلفة التي أسهمت في تنوير العقول حتى بلغت نسبة هذه المراكز ونسبة المتعلمين فيها ما جعل الغربيين يقفون مبهورين؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بالنهضة، ولم يتوقعوا أن الدول العربية قد سبقتهم إلى الحضارة بقرون ، لذلك كتب الجنرال الفرنسي

فالسنة 1834م معبرا عن دهشته بأن كل العرب (الجزائريين) - تقريبًا - يعرفون القراءة والكتابة، حيث إن هناك مدرستين في كل قرية[1]...

وكتب الرحالة الألماني (فيلهلم شيمبر) حين زار الجزائر في شهر كانون الأول عام 1831م، يقول: "لقد بحثتُ قصدًا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه، في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب"[2].

أما الأستاذ ديميري، الذي درس طويلاً الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد أشار إلى أنه قد كان في مدينة قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدًا تستعمل كمراكز للتعليم، كما أن هناك سبع مدارس ابتدائية وثانوية يحضرها بين ستمائة وتسعمائة طالب، ويدرّس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية[3].

وأحصيت المدارس في الجزائر سنة 1830م أي السنة التي احتُلت فيها الجزائر فبلغت أكثر من ألفي مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية وعالية.

ولكي تتخلص الحكومة الاستعمارية من هذه العقبة أي عقبة الحضارة والفكر النير الذي كان يربط الجزائريين بماضيهم كان عليها أن تقضي على عوامل هذه الحضارة وعلى وسيلة التواصل بين الشعب الجزائري وبين ماضيه وحضارته . ومعلوم أن وسيلة أي شعب في وصل حاضره بماضيه هي اللغة، لذلك كان القضاء على اللغة العربية في الجزائر على رأس أولويات المشروع الاستعماري في هذا الوطن.

---

[1] ظاهرة الأمية في العالم العربي والجزائر سببها السياسات التجهيلية الاستعمارية

http://www.annabaa.org/nbanews/60/125.htm

[2] - الجزائر في عيون الرحّالة الألمان في القرن التاسع عشر - جريدة الاتحاد article=full#ixzz2IhC6gfLk&y=2008&http://www.alittihad.ae/details.php?id=615

[3] نبذة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?p=988902

يقول روفيجو أحد الضباط الفرنسيين: "إنّ إيّالة الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلاّ بعد أن تصبح لغتنا لغة قومية فيها، وحتى تتأقلم الفنون والعلوم التي يقوم عليها مجد بلادنا. إنّ السماء التي تغطي الأرض الإفريقية هي سماء الشعر والأدب، وذكاء العرب لا يمكن أن يكون موضع شكّ... والمعجزة التي ينبغي تحقيقها هي إحلال اللغة الفرنسية محلّ اللغة العربية تدريجيا. ومتى كانت اللغة الفرنسية **لغة السلطة والإدارة** فإنها لا تلبث أن تنتشر بين الآهالي، لا سيّما إذا وجدت مدارسنا إقبالا من الجيل الجديد"[4].

ومما تقدم ندرك أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر قد رسم لنفسه مخططا طويل المدى يرمي إلى جعل الجزائر قطعة فرنسية تتحدث بلسانهم، وتمارس عاداتهم وتقاليدهم، وهذا يعني أن الدعامة الأساسية التي ارتكزت عليها فرنسا لسلخ الجزائر من هويتها وإقصائها من الوطن العربي هي الفرنكوفونية التي أرادت أن تستحوذ بها على ألسنة الناس وعقولهم فتسهل بذلك قيادتهم.

وشرعت فرنسا في تنفيذ مخططها بمحاربة العلم والثقافة العربية في الجزائر، وذلك بهدم المدارس والمعاهد والمساجد أو غلقها أو تحويلها إلى كنائس ، كما عمدوا إلى كل المكتبات التي طالتها أيديهم وقد كان فيها من نوادر المخطوطات ونفائس المؤلفات ما لا يقدر بثمن، فنهبوا منها ما نهبوا وأحرقوا ما أحرقوا في سلوك همجي يشبه سلوك التتارالذين لم يترددوا في حرق أعظم مكتبة عرفها الزمن الماضي وهي مكتبة بغداد.

وبما أن الإشعاع الفكري في الجزائر كان يعتمد اعتمادًا كبيرًا على مردود الأوقاف الإسلامية في تأدية رسالته، بحيث كانت الأملاك التي قد وقفها أصحابها للخدمات الخيرية يتجه ريعها خاصة للمشاريع التربوية كالمدارس والمساجد والزوايا، فما كان من الاستعمار الفرنسي إلا أن صادر هذه الأوقاف ليقطع بذلك شرايين الحياه الثقافية في الجزائر؛ لأنه كان يدرك تمام الإدراك بأن التعليم هو أداة السلطة ووسيلة النفوذ ، وأنه لا بقاء له في الجزائر ما بقيت هذه الأداة في أيدي الجزائريين.

---

[4] الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي ،إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص:10، 11.

وبعد أقل من قرن من الزمن استطاع الاحتلال الفرنسي بكل هذه الأساليب الإجرامية أن يجعل من المجتمع الجزائري مجتمعا أميّا و ذلك بنسبة تجاوزت 95 % سنة 1914م

ولم يقف الأمر في معاداة الاستعمار للعروبة ومحاولاته طمس معالم الثقافة العربية والإسلامية في الجزائر عند هذا الحدّ بل راح يواجه كل محاولة لإحياء الهوية العربية بقوانين صارمة وبمخططات جديدة تتناسب مع كل مرحلة.

ففي بداية القرن العشرين شعرت فرنسا أنّ رياح الصحوة العربية بدأت تهبّ على الجزائر فانتعشت بها عقول الجزائريين وانتعشت معها لغتهم شيئا قليلا، فما كان منها أي فرنسا إلاّ أن لجأت إلى اتخاذ عدة قرارات جائرة ترمي كلها إلى قتل اللغة العربية وذلك بمنع تعليمها ومطاردة رجالها ومعلميها وإلجام صحافتها الناطقة باسم الجزائر العربية،ومنع الكتب والمجلات العربية التي تطبع في الشرق العربي من الدخول إلى الجزائر. هذا وغيره كثير.

يقول أحد أعلام هذه المرحلة وهو الشيخ الإبراهيمي واصفا الظلم الذي لحق باللغة العربية وأبنائها من جرّاء تلك القرارات:" ومن أسوأ ما في تلك القرارات شرّا وأشدّه إيلاما وجرحا لعواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في بلاد عربية وهي الجزائر، وجاء دور تنفيذها على يد صغار الإداريين فبالغوا وأسرفوا في التنكيل والمحاكمة، وسيق معلمو العربية إلى مجالس القضاء كما يساق المجرمون وفرضت عليهم العقوبات المالية والبدنية من سجن وتغريب ولا زالت بقاياهم في المنفى إلى الآن"[5].

ومقابل هذا المنع للغة العربية والتضييق على أصحابها عملت فرنسا على نشر اللغة الفرنسية وثقافتها، وكان من وسائل الترغيب بل الإرغام على هذه اللغة الأجنبية أن اشترطت في كل ترقية اجتماعية ضرورة تعلم اللغة الفرنسية. كما عملت الإدارة الفرنسية على الفصل بين اللغة العربية والإسلام، والترويج لفكرة أن الجزائريين مسلمون فرنسيون حتى لا يجدوا أي الجزائريون،حرجا في التخلي عن لغتهم طالما أن هذا لا يمس إسلامهم. وقد أنشأت فرنسا

[5] قصد ب"الآن" الزمن الذي نشر فيه التقرير وهو سنة 1944م، ينظرآثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،ج2 ص:143.

لهذا الغرض مدارس ابتدائية، أطلقت عليها اسم: (المدارس الفرنسوية الإسلامية Franco-Musulmane).

و في إطار هذا المشروع أي مشروع القضاء على اللغة العربية فإن الإدارة الفرنسية في الجزائر قد اهتمت أيضا بالترويج للهجات المحلية واللسان العامي على حساب اللغة العربية الفصيحة، كما سعت إلى ضرب الوحدة الوطنية الجزائرية بين الأمازيغ والعرب، وذلك بالترويج لفكرة أنّ العنصر الأمازيغي من أصل أوروبي، وأنه معادٍ بطبعه للعرب، وحرصت على إثبات ذلك بأبحاث ودراسات ادّعوا فيها العلمية،وهي بعيدة كل البعد عن ذلك، وخلصوا من هذه الأبحاث الاستعمارية في حقيقتها إلى ضرورة المحافظة على خصوصية منطقة القبائل الأمازيغية ولغتها بعيدًا عن التطور العام في الجزائر.

وبهذه الوسائل التي سخرتها فرنسا لتنفيذ مشروعها في الجزائر كادت أن تنجح في توجيه الجزائر نحو الفرنسة والتغريب لولا أن تداركها لطف الله. سبحانه وتعالى . .

تصدي علماء الجزائر للغزو الثقافي وإحياؤهم للغة العربية وعلومها

لقد قيض الله للشعب الجزئري ثلة من العلماء الذين اضطلعوا بمهمة نشر العلم بين صفوفه، والتصدي للحرب الشعواء التي شنت على اللغة العربية في الجزائر وذلك بإحيائها وإحياء علومها وتكوين جيل يخلفهم في هذه المهام الجليلة. ونظرا للإمكانيات الضعيفة من جهة، ومحاصرة الاستعمار لهم من جهة أخرى، فقد اتخذوا من المساجد الصغيرة والزوايا المتواضعة منطلقا لمهمتهم ومنارات يؤمها محبو اللغة العربية والقرآن الذي نزل بها.

وقد اعتمد برنامجهم في إحياء علوم اللغة العربية على تدريس جملة من المتون نذكرها فيما يأتي:

1. النحو: ويعتمد في تدريسه على متن الأجرومية بشرح الكفراوي، والشيخ خالد الأزهري، ثم متن قطر الندى بشرح ابن هشام وحاشية السجاعي، ثم ألفية ابن مالك بشرح المكودي وشرح ابن عقيل والمكودي.

2. ويعتمد فيه على متن الزنجاني بشرح سعد التفتزاني، ولامية الأفعال بشرح بحرق، وحاشية ابن حمدون

3. اللغة: ويقرأ فيها مقامات الحريري وقطع مختارة من النثر والشعر.

4البيان:ويقرأ فيه الجوهر المكنون بشرح الدمنهوري، والسمرقندية بشرح العطار.

5. العروض:ويدرّس فيه متن الكافي بشرح الدمنهوري، والخزرجية بشرح الأخضري.

هذا بالإضافة إلى علوم القرآن والحديث التي تخدم اللغة العربية كالتفسير والقراءات ومصطلح الحديث وغير ذلك.

ومن هذه المساجد والزاوايا البسيطة التي سعت إلى الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين تخرجت النخبة الأولى من العلماء التي قادت النهضة العربية في الجزائر في مطلع القرن العشرين. وقد ساعد هؤلاء الرواد في مهمتهم احتكاكهم بإخوانهم المشارقة وتأثرهم بحركاتهم الإصلاحية التي كانوا يتابعون أخبارها عن طريق الجرائد التي كانت تصلهم بانتظام بطرق سرية مختلفة.

وكان من نتائج هذا الحماس المستمد من النهضة المشرقية أن حرص هؤلاء الرواد على استصدار مرسومين هامين من الإدارة الفرنسية، فأما الأول فيتعلق بإنشاء مدرسة عليا للجزائريين تخرج منها لاحقا العديد من رجال الإصلاح، وأما الثاني فيتعلق بإنشاء مطبعة بعاصمة الجزائر(المطبعة الثعالبية) حيث كان من أوائل ثمراتها إخراج بضعة تآليف من التراث الجزائري القديم إلى النور ليتعرّف الجزائريون على ما خلّفه أسلافهم في مجال العلم واللغة فيحذون حذوهم.

وفي هذه المرحلة ظهرت الشخصية الجزائرية الفذة التي قادت حركة الإصلاح بشكل منظم وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس(1889 .1940م) الذي نشأ في أسرة محافظة وتلقى تعليمه العربي الأول على يد بعض الشيوخ في الجزائر ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس

الذي كان لبعض أساتذته أثر بالغ في تكوين ابن باديس الديني واللغوي وشغفه بالأدب العربي. وبعد تخرجه سافر إلى الحجاز أين التقى بعدد من علماء الأمة الإسلامية، ورأى فيه بعضهم شعلة من الحماس فنصحه بالعودة إلى الجزائرلاستثمار علمه في الإصلاح إذ لا خير في علم ليس بعده عمل.

وفي طريق عودته إلى الجزائر زار ابن باديس بلاد الشام ومصر حيث اجتمع برجال العلم والأدب والإصلاح، فأفاد من فكرهم كما أفاد من معرفته بواقع البلاد الإسلامية فتوسعت بذلك مداركه وازادد خبرة إلى خبرته.

وحين وصل ابن باديس إلى الجزائر، قام بزيارة للعديد من أرجائها ليتعرف عليها ويتعمق في فهم مشكلاتها. ثم عاد إلى مسقط رأسه وقد اتضح له السبيل الذي يجب أن يسلكه وهو سبيل التربية والتعليم ومحاربة الأمية التي فرضها الاستعمار على الشعب الجزائري.ولتحقيق هذه الغاية تحول ابن باديس إلى شعلة من النشاط والحركة، إذ شرع يتنقل بين المساجد الصغيرة في مدينته يلقي فيها دروسا مشبعة بقيم الإسلام ومبادئ اللغة العربية وآدابها. ولم يقتصر ابن باديس في تعليمه على فئة معينة من المجتمع بل كان يعلم الكبار والصغار نساءا ورجالا فتيانا وفتيات لدرجة أنه كان يلقي عشرة دروس في اليوم يصل فيها الليل بالنهار. وقد كان أسلوبه في التعليم عذبا جذابا جعل أفئدة كثير من الناس تهوي إليه فيتوافد عليه الطلبة من كل مكان حتى تجاوز عددهم ألف طالب. وقد اضطره هذا التزايد في عدد الطلبة وإقبالهم من كل فجّ إلى الاستعانة بميسوري الحال من الجزائريين لإطعامهم وإيوائهم.

وفي إطار تطوير عملية التعليم التي كان يقودها ابن باديس تمّ إنشاء بعض المدارس الابتدائية التي ألحقت بالمساجد وذلك بهدف خوض تجربة التعليم المنتظم، وبعد أن أثبتت هذه التجربة نجاحها تمّ توسيع نطاقها ، ولكن بعد أن أسّس ابن باديس مع جماعة من أصحابه جمعية خيرية للتربية والتعليم تُعنى بشؤون طلبة العلم، وبتعليم المرأة خاصة، بل حتى العمال في معملهم الذي أنشأته الجمعية كان يُخصّص لهم يوم لتعليمهم ومحو أميّتهم .

ولتوسيع نشاط هذه الجمعية في مجال التربية والتعليم وما يترتب على ذلك من اهتمام بفئات الشعب المختلفة دعا ابن باديس إلى فتح فروع لهذه الجمعية في عدد من مدن الجزائر يترأسها جماعة من رفاقه في هذا النضال السلمي الهادئ.

وفي هذه المدارس البسيطة تخرج جيل من الجزائريين متشبعا بقيم الإسلام ومتقنا للغة العربية وآدابها، ويحسن الخطابة ونظم الشعر وإلقاء المحاضرات. وكان هذا الجيل هو الأساس الذي أعدّه ابن باديس لبناء أهم هيئة عرفتها الجزائر في عهد الاحتلال وبعده وهي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين".

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م وانطلقت في تنفيذ برنامجها الذي كان قد ضبط محاوره الإمام ابن باديس قبل هذا التاريخ مع صفوة من العلماء الجزائريين، وكان محور هذا البرنامج هو توسيع نطاق العمل الإصلاحي والتعليم العربي الحر في ربوع الجزائر. واستجاب الشعب لهذا البرنامج, وأخذ يؤسس المساجد وينشئ المدارس والنوادي بأمواله الخاصة, ويستقبل العلماء والمعلمين ويُيَسر لهم الاضطلاع بمهمتهم.

وعلى الرغم من مضايقات الاستعمار المستمرة لهذه الجمعية وذلك بغلق المدارس وسجن العلماء والمعلمين فإنها حققت نجاحات باهرة ؛ لأن التعليم وصل إلى مختلف المدن والقرى الجزائرية وأخذ عدد المدارس العربية الحرة يتزايد بشكل مطرد حتى بلغ سنة 1955م حوالى 400 مدرسة ووصل عدد التلاميذ إلى 75 ألف تلميذ من الذكور والإناث.

ليس هذا فحسب بل إنّ طموحات الجمعية قد تحدت كل الظروف وذلك بإنشائها لبعض المعاهد التي كانت مفخرة للجزائر العربية المسلمة؛ لأنها كانت تضاهي في مكانتها ومستواها العلمي أرقى المعاهد الثانوية بالمشرق.

يقول البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية . بعد وفاة ابن باديس رحم الله . في تقويمه لأداء معهد ابن باديس:" ولقد قرأت في أيام الامتحان ثلاث قطع من إنشاء تلاميذ السنة الثالثة،

فوالله ما كدت أصدق أنها من إنشائهم لولا الأدلة القاطعة على ذلك، ولولا أني توصلت بلطف الاستدراج إلى اليقين"[6].

والسؤال الذي ينبغي طرحه الآن هو:ما هي الطرق والأساليب التي سلكتها هذه الجمعية حتى استطاعت أن تحقق هذه النتائج وأن تصل إلى هذا الرقي باللغة العربية وآدابها؟

يجيبنا على هذا السؤال رئيس هذه الجمعية وهو يخاطب المعلمين قائلا:" ها أنتم تربعتم من مدارسكم عروش ممالك، رعاياها أبناء الأمة وأفلاذ أكبادها، تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه، وألسنتهم على اللسان العربي ودقائقه، وتسكبون في آذانهم سر العربية، وتديرون أرواحهم بالفضيلة والخلق المتين، وتروضنوهم على الاستعداد للحياة الشريفة بعد أن تجتثوا من نفوسهم آثار المنزل الجاهل، والأب الغافل، وتقودونهم بزمام التربية إلى مواقع العبر من تاريخهم، ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم، ومنابت العز والمجد من مآثر أجدادهم الأولين، فقفوا عند هذه الحدود...واحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآنية نصب أعينكم، واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل وهاديكم في تكوينه"[7].

ونجده في وصية أخرى للمعلمين يدعوهم إلى التقرب من المتعلمين حتى يحبوهم فإذا أحبوهم أحبوا المدرسة وأحبوا القراءة والعلم وأقبلوا على ذلك بشغف وأظهروا من البراعة الشيء الكثير. كما أوصى المعلمين بأن يكونوا قدوة صالحة لتلاميذهم في أعمالهم وأقوالهم ومظهرهم،حتى يحظوا بالتقدير والاحترام ومن ثم الطاعة والاتباع .أما قبح الأعمال والأقوال والأحوال فلا يولد في نفوس التلاميذ إلا الاحتقار لمن تكون هذه صفاته، ومن ثم النفورمنه ومن المادة العلمية التي يقدمها.

وكانت زبدة هذه النصائح أن دعا المعلمين إلى أن ينظروا إلى الاستعمار، ويعرفوا الطرق التي سلكها لقتل أمتهم ولغتهم فيسلكوا ضدّها لإحيائهما.

---

[6] آثار الإبراهيمي؛ج2ص:221.
[7] المصدر السابق،ج3ص:264.

ولم تغفل جمعية العلماء الجزائريين في جهادها الثقافي عن دور الصحافة في الإسهام في نشر الوعي وإحياء اللغة العربية لذلك شرعت في تأسيس الجرائد الأسبوعية والمجلات الشهرية، وكانت كلما أوقف الاستعمار واحدة منها أسست أخرى دون أن تلين لها قناة. وقد كان المشاركون في إصدار هذه الصحف والمجلاّت يحرصون كل الحرص على الارتقاء بالذوق اللغوي للقراء، فلا تخرج المقالات والموضوعات إلا في أجمل الحلل الأدبية.

كما اهتمت الجمعية بالقراءة والمطالعة فراح بعض أعضائها يجوب الأقطار العربية ويجمع ما أمكنه من الكتب القيمة والمجلات ذات النوعية الثقافية الجيدة التي كان يتبرع بها أنصار اللغة العربية والغيورين عليها الأمر الذي مكن الجمعية من إنشاء مكتبات ثرية يرجع إليها طلبة العلم ويستعينون بها في توسيع مداركهم وتطوير ملكاتهم اللغوية.

وهكذا ظلت الجمعية بفروعها المختلفة تقاوم الغزو الثقافي في الجزائر وتتصدى للحرب الشعواء التي شنت على اللغة العربية حتى أشرقت شمس الاستقلال، فكان عليها حينذاك أن تغير خطّتها وتنادي بالتعريب في جميع مجالات الحياة؛ لأنها كانت على يقين بأن الاستعمار وإن كان قد خرج من الجزائر ،فإنه قد ترك بقية غير صالحة من أبناء هذا الوطن تتحدث بلغة المستعمر وتفكر بطريقته وتحن إلى فنونه وآدابه.

وأما مشروع التعريب الذي نادت به الجمعية على لسان زعيمها الثاني الشيخ البشير الإبراهيمي فنلخصه فيما يأتي:

1. تقسيم التعريب قسمين: تعريب جزئي وتعريب كلّي، فأما الجزئي فهو تعريب الألسنة والأقلام، ويدخل ي ذلك تعريب التعليم، وأما الثاني فيشمل الأول ويشمل معه التخلق بأخلاق العرب والتحلي بكل ما اشتهر عنهم من محامد وفضائل.

2. إن تعريب التعليم يجب أن يكون طبقا للروح العربية، وإن المرحلة الابتدائية هي مرحلة التكوين اللغوي لذلك وجب أن يُلتزم فيها بالأمور الآتية:

. أن يحفظ فيها التلميذ جزءا كبيرا من اللغة ويحسن التصرف فيه وذلك بالاعتماد على كتب لغوية صغيرة تؤلف على غرار كتاب:" كفاية المتحفظ" للأجدابي، وكتاب:" الألفاظ الكتابية" للهمداني".

. تدريج التلاميذ على الكلمات السهلة، ثم الجمل الفصيحة، ثم التراكيب الجارية على القوانين العربية.

. حمل التلاميذ على التكلم بالعربية الفصحى ما داموا في المدرسة.

. حرص المعلمين على ألاّ ينطق أحدهم أمام تلامذته بكلمة أعجمية حتى لا تخدش ملكاتهم؛ لأن كلمة واحدة قد تفسد كل العمل.

3.أن تخصص المرحلة الثانوية للتوسع في قواعد اللغة وتراكيبها بهدف تقوية ملكات التلاميذ وتنميتها، ويجب أن يُمّرنوا في هذه المرحلة على الخطابة، ويُكلفوا بإلقاء محاضرات قصيرة تنتقى لها الألفاظ والتراكيب، وأن تفرض عليهم مطالعة كتب مختارة سهلة فصيحة لترسخ فيهم الملكة العربية.

4. عدم إكثار حصص اللغات الأجنبية في هذه المرحلة حتى لا تزاحم اللغة العربية؛ ويجب أن يُحرص على إفهام الطلبة بأن اللغة العربية هي رأس المال الذي ينبغي الحفاظ عليه، وأنّ اللغات الأجنبية هي الربح.

5.إذا انتقل الطالب إلى مرحلة التعليم العالي وقد أصبح لسانه عربيا يؤيده فكر عربي وعقل عربي فلا بأس إذا توسع في اللغات الأجنبية؛ لأن أفكاره وتصوراته الذهنية أصبحت كلها عربية.

6. إن التعريب الكلي هو غاية الغايات؛ لأنه يدعم تعريب التعليم بتربية النشء تربية نفسية على شمائل العرب وهممهم وبطولاتهم ووفائهم وصدقهم في القول والعمل، وشجاعتهم وتضحيتهم وإيثارهم وكرمهم، ويجب أن يتحمّل عبء هذا النوع من التعريب الخطباء والوعاظ

وحملة الأقلام العربية ليحببوا الناس في العرب فإذا أحبوا العرب بشمائلهم المذكورة أحبوا لغتهم ومارسوها؛ إذ لا يكون العربي عربيا حتى يتقن لغة العرب ويتصف بصفاتهم المأثورة. وبهذا يصنع جيل يكون فيه المعلم العربي والطبيب العربي والمحامي العربي والجندي العربي والفنان العربي عروبة اللسان والشمائل.

7. على الحكومات أن تتبنى هذا المشروع بحزم وعلى الوزارات المختصة أن تنفذه بإتقان وأن تبذل له الأموال وتعدّ له الرجال حتى يؤتي ثماره.

وقد سعت الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال إلى تنفيذ جانب من هذا المشروع وهو تعريب التعليم والإدارة والإعلام، وعلى الرغم من أن المتابعة كانت ضعيفة إلاّ أننا شعرنا بانتعاش حقيقي للغة العربية؛ لأن المثقفين ثقافة أجنبية وجدوا أنفسهم مضطرين لتعلم اللغة العربية بل إتقانها في كثير من الأحيان حتى يتمكنوا من التعامل مع الإدارة ومع المجتمع. وهكذا وبعد سنوات قليلة ظهرت الصحف التي تكتب باللغة العربية، وظهر الإعلامي على شاشه التلفاز وهو يقدم برنامجه باللغة العربية الفصيحة، وظهر السياسي وهو يخاطب جمهوره بالعربية الفصحى، بل حتى المعلق الرياضي صار لا يحسن التعليق إلا باللغة العربية الفصحى. وقد كان قدوتهم في ذلك رئيس الجزائر الراحل" هواري بومدين" الذي كان يعتز باللغة العربية ويتحدث بها في المحافل الدولية بشكل يبعث على الفخر والاعتزاز.

واستمرت اللغة العربية في تحسن ملحوظ سنة بعد سنة حتى أصابتها الانتكاسة، وذلك بعد أن تولى الرئاسة رجال لا يحسنون اللغة العربية ولا يهتمون لشأنها، فعاد مشروع التغريب إلى الظهور من جديد.

وبعد هذا العرض للتجربة الجزائرية نخلص إلى القول أن اللغة العربية تحيا بجهود أبنائها المخلصين أفرادا وجماعات، لكنها لا تتبوأ المكانة اللائقة بها إلا بالإرادة السياسية، لأنها أي الإرادة السياسية هي التي يمكنها أن تنفذ مشروع التعريب وذلك بأن تسخر له كل الوسائل، وتتوسع به في جميع المجالات معتمدة في إنجاحه على أسلوب الترغيب والإغراء، فيكافأ

الطالب المجتهد المتقن للغة العربية، والباحث أو الكاتب أو الإعلامي الذي يقدم عملا يخدم اللغة العربية أو التراث العربي ويساهم في ربط الجيل الحاضر بماضيه المجيد وأسلافه الأخيار، ومقابل ذلك يحرم من لا يتقن اللغة العربية ، فلا يوظف، ولا تسند إليه المناصب الهامة، ولا يحظى بأي اهتمام حتى يرجع إلى جادة الصواب فيعنى باللغة العربية ويتقنها. فإذا تحقق هذا استرجعت اللغة العربية مكانتها وقادت ركب الحضارة المتوقف في بلادنا منذ قرون.

وفقنا الله جميعا إلى خدمة لغتنا والنهوض بشعوبنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

د. خيرة غانم